وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية التربية للبنات
قسم اللغة العربية

عنوان المحاضرة

(أدب عصر ما قبل الاسلام)

اسم التدريسي

م. د. رغده عامر ياسين
الايميل الجامعي:- raghda.yaseen@tu.edu.iq

١٤٤٦ هـ ٢٠٢٥م

قضية الانتحال

واضح مما قدمنا أن الشعر الجاهلى دخل فيه انتحال كثير ، وقد أشار إلى ذلك القدماء مراراً وتكرارًا ، وحاولوا جاهدين أن ينفوا عنه الزيف وما وضعه الوضاع.

متخذين إلى ذلك مقاييس كثيرة ، وبلغ من حرصهم في هذا الباب أن أهمل ثقاتهم كل ما روى عن المتهمين أمثال حماد وخلف ، وكان الأصمعي خاصة لهم بالمرصاد ، كما كان المفضل الضبي من قبله ، وتتابع الرواة الأثبات بعدهما يحققون ويمحصون في التراث .

ومن أهمهم فى هذا الجانب ابن سلام ، فقد دوّن في كتابه ((طبقات فحول الشعراء)) كثيرا من ملاحظات أهل العلم والدراية في رواية الشعر القديم من أساتذة المدرسة البصرية التى ينتسب إليها ، وأضاف إلى ذلك كثيرا من ملاحظاته الشخصية .

وهذا الكتاب في الحقيقة هو أول كتاب أثار في إسهاب مشكلة الانتحال في الشعر الجاهلي ، وقد ردها إلى عاملين إلى عامل القبائل التي كانت تتزيد في شعرها لتزيد في مناقبها وعامل الرواة الوضاعين ، يقول : لما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استقل بعض العشائر شعر شعراتهم وما ذهب من ذكر وقائعهم ، وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أن يلحقوا بمن لها والأشعار ، فقالوا على ألسن شعرائهم ، ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار .

فالقبائل كانت تتزيد في أشعارها وتروى على ألسنة الشعراء ما لم يقولوه ، وقد أشار ابن سلام مراراً إلى مازادته قريش في أشعار الشعراء ، فهي تضيف إلى شعرائها منحولات عليهم ، وقد أضافت كثيراً إلى شعر حسان ، ويذكر أن من أبناء الشعراء وأحفادهم من كان يقوم بذلك، مثل داود بن متمم بن نويرة ، فقد استنشده أبو عبيدة شعر أبيه متمم ، ولاحظ أنه لما نفد شعر أبيه جعل يزيد في الأشعار ويضعها ، وإذا كلام دون كلام متمم

، وإذا هو يختلى على كلامه ، فيذكر المواضع التي ذكرها متمم والوقائع التي شهدها ، فلما توالى ذلك علم أبو عبيدة ومن كانوا معه أنه يفتعله " ولعل في هذا ما يدل على أن الرواة من مثل أبي عبيدة كانوا يراجعون ما نرويه القبائل ، وكانوا يرفضون منه ما يتبين لهم زيفه ، إما بالرجوع إلى أصول صحيحه أو إلى أذواقهم وما يحسنون من نقد الشعر ومعرفتهم بالشاعر ونظمه ، ويسوق لنا ابن سلام شكا في قصيدة أبى طالب التي روتها قريش في أشعارها والتي يمدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى ذلك أنهم نظروا في شعر قريش فقبلوا منه ورفضوا . فهم يفحصون ويحققون في شعر المدينة كما فحصوا وحققوا في شعر فريش وغيرها من القبائل

ويقدم لنا ابن سلام طائفتين من الرواة كانتا ترويان منتحلا كثيرا وتنسبانه الى الجاهلين طائفة كانت تحسن نظم الشعر وصوغه وتضيف ما تنظمه وتصوغه الى الجاهلين، ومثل لها بحماد، ورأينا فما مر بنا أشباها له في جناد وخلف الاحمر. وطائفة لم تكن تحسن النظم ولا الاحتذاء على أمثلة الشعر الجاهلى ، ولكنها كانت تحمل كل غناء منه وكل زيف ، وهم رواة الأخبار والسير والقصص، من مثل ابن اسحق راوى السيرة النبوية إذ كانت تصنع له الأشعار ويدخلها في سيرنه دون تحرز أو تحفظ، منطقا بالشعر العربي من لم ينطقوه من قوم عاد وثمود والعماليق وطسم وجديس

ورفض ابن سلام والأصمعي وأضرابهما رواية الطائفتين جميعا ، فلم يقبلوا شيئا مما يرويه أشباه حماد إلا أن يأتيهم من مصادر وثيقة ، وكذلك لم يقبلوا شيئا كما يرويه ابن إسحق لا عن الأمم البائدة فحسب، بل عن عرب الجاهلية أنفسهم ، إلا أن يجدوه عند رواة أثبات يقول ابن سلام وقد ذكر أبا سفيان بن الحارث أحد شعراء قريش الذين كانوا

يناقضون حسان بن ثابت وشعراء المدينة : إن شعره في الجاهلية وسقط ولم يصل إلينا منه إلا القليل ، ثم علق على ذلك بقوله : « ولسنا نعد ما يروى ابن إسحق له ولا لغيره شعرا، ولأن لا يكون لهم شعر أحسن من أنى يكون ذلك لهم. فهم كانوا يرفضون جملة ما يرويه ابن إسحق وأشباهه من مثل عبيد بن شَرِيَّة وينحونه عن طريقهم، يقول ابن سلام: « وليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضعوا ولا ما وضع المولدون ، مما حمله رواة القصص والأخبار من شعر غث و لا خير فيه ولا حجة فى عربيته ولا أدب يستفاد ولا معنى يستخرج ولا مثل يضرب ولا مديح رائع ولا هجاء مستطرف. ففي الشعر الجاهلي منتحل لاسبيل إلى قبوله ، وفيه موثوق به ، وهو على درجات منه ما أجمع عليه الرواة ومنه ما رواه ثقات لا شك في تقهم وأمانهم ، من مثل المفضل والأصمعي وإلى عمرو بن العلاء . وقد يغلب المنتحل الموثوق به ، ولكن ذلك لا يخرج بنا إلى إبطال الشعر الجاهلي عامة ، وإنما يدفعنا إلى بحثه وتمحيصه مهتدين بما يقدم لنا الرواة الأثبات من أضواء تكشف الطريق .

وقد لفتت هذه القضية، قضية انتحال الشعر الجاهلى، أنظار الباحثين المحدثين من المستشرقين والعرب ، وبدأ النظر فيها نولدكه سنة ١٨٦٤ وتلاه الورد . نشر دواوين الشعراء السنة الجاهليين : امرئ القيس والنابغة وزهير وطرفة وعلقمة وعنترة فتشكك في صحة الشعر الجاهلى عامة ، منهيا إلى أن عددا قليلا . هؤلاء الشعراء يمكن التسليم بصحته ، مع ملاحظة أن شكا لا يزال يلازم هله القصائد الصحيحة في ترتيب أبياتها وألفاظ كل منها وتابع كثير من المستشرقين آلوارد فى موقفه الحذر من قبول كل ما يروى للجاهليين ، أمثال موير وبروكلمان، وكان مرجليوث أكبر من أثاروا هذه القضية

فـي كتاباتـه إذ كتـب فيهـا مقـالا مفصـلا نشـره فـي مجلـة الجمعيـة الملكيـة الآسـيوية بعـدد يوليـة سـنة ١٩٢٥ جعـل عنوانـه كمـا مـر بنـا (أصـول الشـعر العربـي : The origins of Arabic Poetry). ونـراه يسـتهله بموقـف القـرآن الكـريم مـن الشـعر متحـدثاً عـن بـدء ظهـوره ونشـأته وآراء القـدماء فـي ذلـك، ثـم ينتقـل إلـى الحـديث عـن حفظـه ، وينفـى أن تكـون الروايـة الشـفوية هـي التـي حفظتـه ، وقـد بينـا آنفـا بأدلـة لا تـدفع كيـف أن سلسـلة روايتـه لـم تنقطـع حتـى عصـر التـدوين ولكـن مرجليـوث يـذهب هـذا المـذهب ، ليقـول إنـه لـم تكـن هنـاك وسـيلة الحفظـه سـوى الكتابـة ، ثـم يعـود فينفـي كتابتـه فـي الجاهليـة ليؤكـد أنـه نظـم فـي مرحلـة زمنيــة تاليــة للقــرآن الكــريم! . ويقــف بــإزاء الــرواة المتهمــين أمثــال حمــاد وجنــاد وخلــف الأحمـر ومـا كـان يطعـن بـه بعـض الـرواة فـى بعـض ، ليـزعم أن الوضـع فـي هـذا الشـعر كـان